

أنا وأنت على الطريق
حدقة العين تتكلم ولا تكذب

هل سمعت سيدتي بأن حدقة العين تتكلم ولا تكذب؟ تعالي معي لنستمع إلى ما جاء في هذا الخبر :

حدقة العين أو البؤبؤ هي أشبه بمرآة صادقة لعواطفنا. فهي تتسع حالما نشعر بالخوف أو الغثيان أو نشعر بالسعادة. كما يمكن من خلال مراقبة الحدقة معرفة الكثير حيال القرارات الآتية. ومن المعروف أن حدقة العين تتسع كثيرا في الظلام لتتمكن من التقاط أكبر كمية من جزئيات الضوء. وبالمقابل تضيق كثيرا أمام الضوء الساطع لحماية شبكية العين. ولكن الضوء ليس العامل الوحيد المؤثر على اتساع وتضيق الحدقة. والحالة العاطفية يمكن قراءتها فورا في العيون. فالحدقة تتسع أيضا عندما نشعر بالفرح الكبير أو بالخوف. والمسؤول عن ذلك هو الجهاز العصبي التلقائي الذي يتحكم بالوظائف الحيوية اللاإرادية. وعند وجود خطر ما أو أمر مفرح، يتخذ هذا الجهاز التلقائي القرارات بشكل أسرع بكثير ممّا يتطلّبها اتخاذ القرارات الإرادية. وهذا الجهاز التلقائي نلاحظ دوره خلال عبور الشارع مثلا وسط زحام السيارات. وهكذا إذا فرح الإنسان لأمر ما فإن أول رد فعل يأتي من العين التي تتسع حدقتها بشدة حتى قبل أن ينطق الإنسان بأي كلمة.

ويقول الخبر أيضا إن الباحثين (فيليام دي جي وتوبياس دونر) من جامعة أمستردام قد توصلوا في دراسة جديدة إلى أنه من الممكن التنبؤ بالقرار الذي سيتخذه الشخص من خلال التدقيق في حدقة العين. فمثلا إذا كان القرار هو بإجابة نعم أو لا فإن نعم تكون مسبوقة باتساع الحدقة. لكن الباحث الألماني (هيلموت فيلهيلم) من جمعية طب العيون الألمانية يشكك في نتائج هذه الدراسة. فهو يرى أنّ هناك إجماعا بين الباحثين والأطباء على أن العين تتسع قبيل اتخاذ القرارات، ولكن هذا الاتساع هو انعكاس للتوتر ويحدث في جميع حالات اتخاذ القرار، بغض النظر إن كان سلبياً أو إيجابياً. وهذا يعني أن حدقة العين لا تكذب وأنها تعكس حقا الكثير عن الحالة النفسية للإنسان، ولكن ليس بدقة كبيرة حتى اليوم. إلى هنا ينتهي الخبر.

إن كل ما فينا يا سيدتي يدل علينا ويكشف عما في داخلنا ويعلن إلى درجة ما طبعا، مشاعرنا وأحاسيسنا. حتى حدقة العين، كما سمعنا تكشف خبايانا إلى حد ما وتبيّن للآخرين ما يمكن أن يجري في كياننا الداخلي. فما رأيك أنت بالموضوع؟ بالطبع لا تستطيع

حدقة العين أن تظهر حقيقة نفوسنا من الداخل إلا بدرجة نسبية فقط. لكن يا صديقتي هناك عينٌ أخرى تدل على ما بدواخلنا بنسبة مئة بالمئة وهذه لا تخطئ البتة.

فهل تعلمين لمن هي؟ إنَّها عين الله الخالق، إذ يقول سليمان الحكيم عنها ما يلي: في كل مكان عينا الرب مراقبتان الطالحين والصالحين. (أمثال ١٥: ٣) أما في المزمور الثاني والثلاثين والعدد الثامن فيقول: أعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها أنصحك عيني عليك. والمزمور الثالث والثلاثين والعدد الثامن عشر يقول: هوذا عين الرب على خائفه الراجين رحمته. ومرة أخرى يؤكد أنَّ عيني الرب على الصديقين فيقول: عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم. ويعرفنا الله معرفة مميزة وهذا بالضبط ما فاه به النبي والملك داود حين كتب في مزموره المئة والتاسع والثلاثين، و قال: يا رب قد اخترتني وعرفتني. أنت عرفت جلوسي وقيامي، فهمت فكري من بعيد. مسلكي ومربضي ذريت. وكل طريقي عرفت. لأنه ليس كلمة في لساني إلا وأنت عرفت كلها... عجيبة هذه المعرفة فوقي ارتفعت لا أستطيعها. أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب؟ ... لأنك أنت اقتنيت كليتي نسجتني في بطن أمي. رأيت عينك أعضائي. نعم يا صديقتي، كتب النبي داود هذه الكلمات الموحى بها من روح الله، بعد أن اكتشف أن الله خالقه يعرفه معرفة مميّزة وفريدة. فتعجب من هذه المعرفة التي لا يمكن أن توصف لأنها عجيبة، ولا يمكن أن تدرك بالعقل الواعي لأنها أعظم وأرفع من عقل الإنسان المحدود. فكيف به وإزاء هذه المعرفة أن يهرب من الله الخالق؟ أليست عيناه تجولان الأرض؟

لقد حاول مرة أحد الأنبياء في القديم وهو النبي يونس أو يونان أن يهرب من وجه الله لأنه عصى أمره ولم يرد الذهاب إلى نينوى المدينة العظيمة لكي يحثهم على التوبة عن خطاياهم والرجوع إلى الله الحي. فنزل إلى سفينة ذاهبة إلى ترشيش أي اسبانيا، وهو في السفينة حدثت عاصفة مخرقة وعلت الأمواج. فعلم للحال يونان أنه بسببه صار كل هذا لأنه هارب من وجه الله. ولما ألقوه النوتية في البحر، هدأت العاصفة. أما يونان فابتلعه حوت. ومن جوف الحوت صرخ يونان إلى الله وقال: دعوت من ضيقي الرب فاستجابني. صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي. حين أعيت في نفسي ذكرت الرب. فأمر الله الحوت فقفز يونان إلى البر. وبعدها أطاع يونان الله وذهب بمهمته إلى نينوى وأخبر شعبها بأن يعودوا إلى الله الحي فتابوا عن شرورهم وعادوا إلى الله العلي القدير. نعم الله العالم والعارف والذي يرى كل شيء، يتعامل معنا نحن البشر الخاطئة، بمحبته ونعمته، ورحمته. ويمنحنا فرصة جديدة لكي نعود إليه ونتوب عن غينا وشرورنا ونتق بعمل الفادي يسوع المخلص الذي أرسله لكي يخلص به العالم. فهل اختبرت نعمته الغنية ورحمته الواسعة يا صديقتي؟
